

خطاب جلالة الحسن الثاني
بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز:

إنها لمناسبة سعيدة هذه التي تجمع بيني وبينك اليوم لنتحادث ونتذاكر ونتبادل الآراء، وقد كان بودنا أن يخيم على هذا الموسم جو من الفرح والسرور والانشراح، إلا أن الظروف التي يعيشها المغرب بجانب إخوانه العرب وبجانب أعضاء الأسرة الاسلامية ظروف مؤلمة، زيادة على أنها ظروف حرجة جداً.

فلهذا أريد بمناسبة عيد الشباب أن يكون هذا اليوم يوم جد ويوم وعي وتوعية، يوم فهم للمشاكل والمقاييس الحقيقية، يوم يمكن فيه لكل واحد من أن يزن بميزان المنطق لا بميزان العاطفة الأحداث وأسبابها من جهة، ثم نتائجها ومضاعفاتها من جهة أخرى.

الخطاب الذي كنت قد وجهته إليك، كنت قد قلت لك فيه انه لابد لكل مغربي أن يجود بما أتاه الله اعانة لاخوانه العرب الذين ضاعوا وأصبحوا ضحية للعدوان الصهيوني الغاشم، وكنت قلت إذ ذاك أن ذلك الوقت لم يكن وقت تحليل أو وقت تفسير، وإن وقت التحليل أو وقت التفسير سيحين، وكان بودي ان أنتظر قليلا قبل أن أحلل، أو قبل أن أعطيك عناصر التحليل، إلا أنه أمام البلبلة التي كثرت، وأمام الأغراض التي تجلت، وأمام الأهواء والشهوات رأيت أنه من أول واجباتي كراعي وكمسؤول أن لا أترك الرعية ضالة، وأن أقوم بمسؤوليتي، وهي مسؤولية التفسير والشرح قبل كل شيء.

نعم العرب غلبوا في المعركة العسكرية التي خاضوها، ولكن نحن هنا لسنا بصدد التحليل العسكري، لأن التحليل العسكري لا يأتي في الحين، يجب أن يستغرق شهوراً أو سنوات عند ذلك يأتي المؤرخون التقنيون الخاصون الذين يؤرخون المعارك والذين يؤرخون الاستراتيجية والتكتيك، هم الذين على ضوء ما أعطى من أوامر وتوقيت تلك الأوامر وتنفيذها يقومون بالتحليل العسكري، ولكن لا بد أن نقوم بشيء ما من التحليل السياسي، وهنا يمكن لنا إن نقول أن غلطتنا السياسية هي التي تسببت في النكبة العسكرية.

يقولون في كل أكاديمية عسكرية: إن من الواجب على كل من يريد أن يخوض معركة أن يختار بمحض اختياره الزمان لكي يخوضها، ثم الوسائل التي سيخوضها بها، ثم المنطقة التي سيقوم فيها بالمعركة، ويمكن لنا أن نقول: إن السياسة هي معركة مستمرة، ولذا فإنه يطبق على السياسة باستمرار ما يطبق على المعارك العسكرية كلما وجب القيام بها.

فلنر الظروف التي خاض فيها العرب هذه المعركة: فالوضع العربي أولا كان وضعاً متشتتاً، كانت الخصومات قد تكاثرت بين رؤساء الدول العربية، وأكثر من هذا لم تعد القيادة العليا الموحدة تجتمع، لأنها كانت دائماً مبتورة من الأعضاء المهمين فيها.

هذا هو الوضع العربي.

أما الوضع الدولي فهو أنه لم يكن للدول العظمى أي هم سوى مضاعفة أسباب التوتر بينها، فلم أكن أنا شخصياً أرى أن أية دولة من الدول الكبيرة ستدخل ــ وبكل ما في هذا من معنى ومن أسلحة نووية وذرية ــ المعركة فيما إذا خاضها العرب، بل كانت جميع الجهود ترمي إلى تقارب الكتلتين الشرقية والغربية.

هذا من ناحية التوقيت فالتوقيت لم يكن قد أحسن اختياره.

ثانياً موقع المعركة: كان الموقع من أساسه فاسداً ومن أول وهلة، لأنه كان أساس المعركة أن يغلق ممر العقبة.

ولا أعتقد شخصياً أنه كانت هناك أية دولة مستعدة لخوض المعركة مع العرب لأثبات مثل هذه السابقة، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي، لأنه لو وقف الاتحاد السوفياتي مع الدول العربية في عدم حرية الملاحة لأصبح من المستحيل على أية سفينة سوفياتية أن تخرج من الدردنيل، ولأغلقت عليها تركيا الأبواب، وستقول لها تركيا آنذاك: إن هذه السابقة قد أكدتها بالنسبة للعرب، بحيث إن الاتحاد السوفياتي لو خاض المعركة على أساس عدم حرية الملاحة كان سيصبح ذلك سلاحاً ذا حدين، وسلاحاً عليه لا له، لأن المنفذ الوحيد الذي يتوفر عليه على البحر الأبيض المتوسط ثم على المحيط الأطلسي هو البوسفور والدردنيل، والدليل على هذا أنه رغم ذلك ماتزال الاتفاقية المبرمة بين تركيا وروسيا عام 1936 جارياً بها العمل، ففي أي وقت أرادت أية باخرة سوفياتية عبور المضيق للبحر الأبيض تطلب الاذن من تركيا.

فالذي يقول: إن الاتحاد السوفياتي خان العرب أعتقد شخصياً أنه كاذب، فالاتحاد السوفياتي لم يسبق له أن وعد العرب بأي شيء، وليست هناك أية دولة من الدول العظمى قد قالت للعرب إنني لست معترفة بإسرائيل؟ هل كانت هناك دولة من الدول العظمى عقدت حلفاً مع الدول العربية وقالت لهذا إذا خضت أية معركة مع اسرائيل سأقف بجانبك.

فأمريكا وانجلترا وفرنسا وروسيا كل هذه الدول معترفة بإسرائيل، ولم تعقد أية دولة من هذه الدول حلفاً مع الدول العربية، ولا أعتقد شخصياً أن في إمكان أي واحد أن يتحدث عن خيانة المعسكر الشرقي الشيوعي للدول العربية، والدليل على ذلك أنه في توصية الأمم المتحدة يعترف الطرفان من الكتلتين أنه لا يمكن استتباب الأمن في المنطقة الا بعد مفاوضات بين المتحاربين هذه كما قلنا هي النقطة الثانية.

والنقطة الثالثة رغم أنه اعتدى علينا فيقال في المحافل الدولية إن الاعتداء جاء من الدول العربية لأنها ظلت مدة سبعة أيام وهي تجمع قواتها وتقول بأنها ستهجم، فلم تكن بادرة اليهود سوى رد فعل دفاعاً عن النفس.

وهنا أقول إن الغلط كان هنا، ويا ليتنا بدأنا نحن بالهجوم. لأن العاجز من لا يستبد، فإما أن نهاجم بكيفية مفاجئة واما أن نسكت ونكف عن الصياح مدة ثمانية أيام بباب الدار نقول للعدو إننا سنكسر عليك باب الدار، معتقدين أنه لن يقوم برد فعل.

فهذا كان غلطاً فادحاً وكبيراً.

طيب، هذه أغلاط فما هي النتائج؟ النتائج كانت آلاف القتلى ومئات آلاف المشردين، ومئات الملايين إذا

لم نقل مئات ملايير الدولارات ذهبت عبثاً وسدى من أسلحة لم تستعمل أو كيفما كان الحال لم تبق موجودة وسائل التنمية ضاعت سواء في الأردن أو في الجمهورية العربية المتحدة، أو في سوريا، النتائج أن الدولة العربية أصبحت تنظر بعين الجد والواقع ماذا يمكن القيام به؟ وماذا يمكن أن نؤمله؟.

لا أعتقد شخصياً أن أي قرار اتخذ ارتجالا، وكل قرار إتخذ ولم تراع فيه سوى مصلحة منطقة دون مصلحة الدول العربية يكون قراراً ذا نتائج وذا عواقب غير مستحسنة.

ومما يؤسف له أن هناك صديقين لي وأخوين شقيقين أقدرهما وأحبهما، كل واحد منهما نادي بفكرة عسى أن تنجح القضية العربية، فجلالة الملك فيصل كان يقول: يجب علينا أن ننادي بالفكرة الاسلامية لكي نجمع حولنا آراء جميع المسلمين، ولكي لا نظهر أننا نستعمل العنصرية الدموية والسلالية للعرب، وكان فخامة الرئيس جمال عبد الناصر يقول: ليس ذلك من المصلحة، لأننا إذا نادينا بالروح الاسلامية فحسب فسيعتقد الناس أننا سنسير إلى حروب صليبية، وسيعتقدون أن الاسلام ضد الديانات الاخرى.

فكلاهما كان مصيباً، كانت له نظرية سديدة، ولكن كونهم لم ينسقوا خططهم ودخل بينهم الدساسون جعلهم يفترقون وصار لكل واحد اتجاه، فلا صوت العرب ارتفع، ولا الأسرة الاسلامية التحمت.

وإذا أمعنا النظر في التصويتات الأخيرة بالأمم المتحدة يباغتنا كون أمم تقول إن كيانها إسلامي أو دولتها إسلامية أو أنها تتوفر فيها جاليات إسلامية مهمة صوتت ضد الملتمس الذي كانت الدول العربية متفقة عليه.

فلهذه النتائج التي ليست ضئيلة والتي تتعدى بكثير سواء امكانيات العرب أو امكانيات المسلمين يجب على المرء أن يهدىء أعصابه ويحلل منطقياً لا عاطفياً الأحداث.

إن قلب كل واحد منا مجروح، وكل واحد منا ملسوع من الألم، وليس في وسع أي واحد منا الاعتقاد أننا سنتراجع عن مكتسب من مكتسباتنا، أو أننا سنترك مقدساتنا الدينية تضيع، وكل واحد منا لو وجد السبيل ليدافع بنفسه ودمه لدافع به.

ولكن أقول إن الواقع يرتفع بل إن الواقع سيرتفع إذا نحن جندنا أنفسنا في عمل بناء، فيجب ألا نترك العاطفة تطغى علينا، وأن لا نترك المغرضين الذين لهم أغراض يساعدون على طغيان تلك العاطفة علينا.

وإنني لأتعجب كل العجب من بعض الناس أو بعض الهيئات أو بعض المنظمات الذين كان تعاملهم دائماً مع الدول اللادينية والذين لم نكن نجدهم في رمضان بالمغرب، والذين لم نرهم قط يصلون في مسجد أتعجب من أن يصبح هؤلاء الناس هم زعماء الاسلام وزعماء العرب؟.

والعجب كل العجب من أناس كنا قد أرسلنا لهم طلباً بإعطاء لائحة منهم نوفدهم إلى الحج فلم يجيبوا، وأصبحوا اليوم هم الذين يكتبون مناشير يأمرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتحدثون عن كرامة الاسلام وحرمة العروبة!.

وعلى كل حال فياتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له موعدا

وكيفما كان الحال فالشعب المغربي كما أعرفه شعب يقظ يعرف كيف يحلل وكيف يفهم، ونحن مستعدون لاعانته، والذي لا يرغب في الفهم فهناك وسائل للتفهيم، هناك وسائل بيد حكومتنا التي اعطيناها

أمراً لتعمل كل ما في وسعها لكي يبقى الآمن سائداً في البلاد والطمأنينة، وإن كل من يقلق الأمن العام سيعاقب بما في القوانين وبما في الدستور، لأننا لا نريد أن نزيد في الطين بلة فنزيد على نكبة العرب نكبتنا، فكل اضعاف لنا اضعاف للأسرة العربية، وكل تقوية لنا تقوية للأسرة العربية، فلا ينبغي بعد سنتين من الجفاف أن نزيد سنة أخرى تذهب هباء بسبب بعض المهرجين الذين لهم أغراض خاصة.

نحن بصدد أعمال بناءة، بصدد بناء سدود، بناء معامل، بصدد شق طرق، بصدد تنمية المجتمع، ولسنا بصدد ترك كل ما أنجز يذهب سدى.

وإنني لأعرف أن هناك بعض الناس يعضون أصابع الندم، لأن الدولة المغربية ولله الحمد هي الدولة الوحيدة التي لم يقع فيها أي شيء منذ أن وقع العدوان، وهؤلاء الناس يقولون: إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر! يقولون لماذا يبقى المغرب الدولة الوحيدة التي لم يقع فيها أي شيء؟ وهذا من باب الحسد الذي حرمه الله، وإذا كانت الغبطة مستحسنة فالحسد حرام، وأقول لأولئك الناس: موتوا بغيظكم، فالمغاربة أولا بما أوتوا من وعي والدولة ثانية بما أوتيت من قوة مستندة على القانون والحق سيقفون في وجوهكم سواء كنتم في المغرب أو في خارج المغرب، لكي تبقى الدولة هي المسيطرة على الموقف.

فنحن يوم نقرر خوض المعركة سنخوضها، وكونوا على يقين أنني سأخوضها معكم لا بكيفية مرتجلة، فلم يسبق لي أيها الشعب أن خضت معك أي معركة كانت سياسية او عسكرية مرتجلة، ولما هوجمنا في وقت من الأوقات — كما تذكر — انتظرت سبعة أيام ثم جاء بعدها رد الفعل، لأن الارتجال لا يوجد في هذا البلد.

فاليوم الذي سأعتقد فيه أن الوقت قد حان، وأن الدول العربية ستخوض المعركة سأكون أنا أول من ينادي بها في العموم وأنادي بها في الرسائل الخاصة لرؤساء الدول العربية، أما الأن فإن المعركة معركة سياسية، والمعركة معركة اقتصادية، فلا بد من ترميم ماضاع، ولابد أن يكون انتاجنا مرتفعاً، ولابد من أن نصبح منتجين لا مستهلكين فقط، والشيء الذي أقوله بكيفية خاصة للمغرب أعتقد أنه هو الطريق الذي يجب أن تتبعه الدول العربية على العموم.

هذه شعبي العزيز هي الكلمات التوجيهية التي رغبت في أن أقولها لك اليوم، فليس من عادتي أن أقول لك مثل هذا الكلام في عيد ميلادي، فقد كنا في مثل هذه المناسبة نتذاكر في تنمية المجتمع أو في الانطلاقة الجماعية أو في الانعاش الوطني أو في مشاريع أخرى، ولكن أعتقد شخصياً أن وعيك هو مفتاح كل عمل بناء وإيجابي واقتصادي، فأملي بعد هذه المذاكرة التي جرت بيني وبينك أن لا يبقى أي التباس في ذهنك، وأن لا يبقى أي محل للمغرضين، وأن لا يبقى أي منفذ لكل من سولت له نفسه أن يقلق أفكارك أو يخلق لك بلبلة، فلا أعتقد أن هناك مغربياً واحداً يريد الذل للعرب، ولا أعتقد أن أي مسلم في المغرب يريد الذل للمسلمين، ولكن بين هذا وبين الفتنة سيكون قد وقع لنا في بلادنا — لا قدر الله — أكثر مما وقع في البلاد العربية التي قاتلت، لأن الفتنة أشد من القتل، لكن كما قلت لكم فإن الوعي المغربي أولا، ثم الدولة والقانون ثانياً، ستمنع منعاً كلياً في المهد كل محاولة من هذا القبيل.

وأملي شعبي العزيز أنه في السنة المقبلة نراجع الأحداث المؤلمة كأنها من باب التاريخ ومن باب الماضي، وتكون الدولة العربية قد استرجعت وحدتها الترابية، وتكون المكتسبات الاسلامية قد رجعت إلى مهدها، ويكون



المغرب مع جميع شقيقاته الدولة العربية والاسلامية رافلة في حلل النصر وفي الطمأنينة والتقدم والازدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الأحد 1 ربيع الثاني 1387 — 9 يوليوز 1967